

أقسام الناس في الشفاعة

بعد ذلك ذكر الشفاعة، والناس في الشفاعة ثلاثة أقسام المشركون، والمعتزلة، وأهل السنة. القسم الأول: المشركون القبوريون، يقولون: إن الأولياء وإن السادة يشفعون لأقاربهم، ولمن دعاهم، ولمن والاهم، ولمن أحبهم، ولأجل ذلك يطلبون منهم الشفاعة، فالمشركون الأولون حكى الله عنهم أنهم قالوا: { هُوَ لَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } (يونس:18) يعنون: معبوداتهم من الملائكة، ومن الصالحين، ونحوهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أي: يشفعون لنا، وكذلك يقول القبوريون المعاصرون الآن: يقولون: إن الأولياء يشفعون لنا، وإننا لا نجرؤ أن نطلب من الله، بل نطلب منهم وهم يطلبون من الله، ويقولون: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء والصالحين أعطاهم الله الشفاعة، ونحن ندعوهم ونقول: اشفعوا لنا كما أعطاكم الله الشفاعة، ويضربون مثلا بملوك الدنيا فيقولون: إن ملوك الدنيا لا يوصل إليهم إلا بالشفاعة إذا أردت حاجة فإنك تتوسل بأوليائهم ومقربيه من وزير وبواب وخدام وولد ونحوهم يشفعون لك حتى يقضي ذلك الملك حاجتك، فهكذا نحن مع الله تعالى نتوسل ونستشفع بأوليائه وبالسادة المقربين عنده! هذا قول المشركين، يثبتون شفاعة كل ولي من الأولياء لكل من طلبها منه، وقد وقعوا بهذا في شرك الأولين، وقاسوا الخالق بالمخلوقين، والله تعالى ذكر عن مؤمن يس قوله تعالى: { اتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا } (يس:23) وذكر الله - تعالى - أن الكفار اعترفوا على أنفسهم بقولهم: { قَالُوا لَمْ تَكْ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكْ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحْوُصُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَدِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } (المدثر:43-48). القسم الثاني: المعتزلة والخوارج، أنكروا الشفاعة لأنهم يعتقدون أن العصاة وأهل الكبائر مخلدون في النار لا يخرجون منها، وأن كل من عمل كبيرة ومات مصرًا عليها فهو مخلد لا تغني عنه الشفاعة ولا تنفعه، ويستدلون بالآيات التي فيها نفى الشفاعة مثل قوله تعالى: { لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ } (البقرة:123) ومثل قوله تعالى: { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بِنِعْ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ } (البقرة:254) ويقولون: هذه الآيات تنفي الشفاعة، فليس هناك شفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لغيره، هذا ما قاله المعتزلة والخوارج بناءً على تخليدهم أهل الكبائر في النار. القسم الثالث: أهل السنة، يثبتون الشفاعة ولكن بشرطين: الشرط الأول: الإذن للشافع. الشرط الثاني: الرضا عن المشفوع، جمع الله الشرطين في قوله تعالى: { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } (النجم:26) وذكر الإذن في قوله تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } (البقرة:255) وفي قوله تعالى: { وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ } (سبا:23) { يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } (طه:109) وقد تكون هذه الآية جمعت الشرطين، وذكر الرضا في قوله تعالى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } (الأنبياء:28) فهذان شرطان للشفاعة، وهي الشفاعة المثبتة: الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع له، والإذن يكون للأنبياء، وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الناس إذا طلبوا منه الشفاعة لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد حتى يقال له: { ارفع رأسك وسل تعطى، واشفع تُشفع قال: فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب ... } الحديث، هذا دليل على أنه لا يشفع إلا من بعد أن يأذن الله له، وأما الرضا فإن الله لا يرضى عن الكفار كما في قوله تعالى: { وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } (الزمر:7) فإذا كان لا يرضى لعباده الكفر، ولا يرضى الشرك، فلا يأذن في الشفاعة للكفار، ولا يأذن في الشفاعة للمشركين؛ فالشفاعة خاصة بالموحدين، وحققتها أن الله - تعالى - يكرم أوليائه وأنبياءه لينالوا المقام المحمود ويقول سبحانه وتعالى: { اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ... } " الحديث ". رواه البخاري في التوحيد برقم (7439) ومسلم في الإيمان برقم (302). فيحصل منها تكريم الشافع ورفع منزلته، وأنه يؤتى المقام المحمود الذي وعده الله بقوله تعالى: { عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } (الإسراء:79) فمن يشفع تعرف منزلتهم وفضيلتهم، كذلك يحصل منها رحمة المشفوع لهم، وإخراجهم من العذاب، تلك فائدة هذه الشفاعة.